الفصل السابع

حلم داليا

لنلتق بداليا – جميلة، نشطة، وطموحة. تم تشخيص إصابتها باضطراب نقص التركيز وهي طفلة، وتأتي لنا عدة مرات في السنة من أجل إعادة ملء مخزونها من عقار الريتالين. كان بانتظارها وهي في عمر السابعة والعشرين، حيث كانت على وشك الحصول على درجة الدكتوراه في الجيولوجيا – وظيفة مرموقة في دالاس، ولا تكاد تطيق الانتظار لتبدأ تألقها هناك. نتكلم عن الحياة بعد التخرج وأهدافها بعيدة المدى. تريد أن تؤسس حياتها المهنية، تسدد القروض، وتتزوج. ماذا عن الأطفال؟ سألتها. وأجابتني بابتسامة، نعم بالطبع، لطالما عرفت أني أريد أطفالا. حلمي أن يكون لديّ ثلاثة أو أربعة. وتضيف داليا، الخصوبة لن تكون مشكلة، فلسوء الحظ اضطرتها الخصوبة خلال دراستها بالجامعة إلى الخضوع لإجهاض ذات مرة. لذلك فلا توجد مخاوف لديها من هذه الناحية.

obeikandl.com

كان تفاؤل داليا مُعدياً، مع ابتسامتها الهادئة ومزاجها الإيجابى. فى الواقع يبدو مستقبلها رائعاً. أشاركها شعورها بالإثارة لكل الأشياء الجيدة المرتقبة، أهنئها على إنجازاتها، وأحثها على البقاء على اتصال بى.

تغادر، وأراجع سجلها الطبى. كان علاج اضطراب نقص التركيز على ما يرام، ولا يقلقنى. لكن تاريخها الصحى النسائى يُنذر ببعض الخطر.

بدأ نشاطها الجنسى فى السادسة عشرة.. أصيبت بأحد الأمراض المنتقلة جنسياً.. خضعت لإجهاض.. تتعاطى حبوب منع الحمل منذ سبع سنوات.. بلغ عدد شركائها من الذكور أحد عشر.

لا شىء غير معتاد - تاريخها مثل تاريخ كثيرات من زميلاتها. ومع ذلك فإن نمط حياتها الجنسية يحمل معه خطر بعض المشكلات التى قد تواجهها

obeikandl.com

عندما تقرر أن تبدأ أسرتها. السبب: عدوى تم علاجها منذ فترة طويلة، حتى أنها طواها النسيان – الكلاميديا.

فى ذلك الوقت، تناولت داليا المضادات الحيوية لمدة أسبوع وكذلك فعل صديقها. بعد عدة شهور تم إعلان شفائهما. لا عدوى. نظيفين تماماً، وكأن الأمر لم يحدث أبداً. شفاء إعجازى جديد، شكراً للمضادات الحيوية؟ لكن الخبراء يقولون حالياً... ربما.

مرجعى الطبى الجامعى والذى نُشر فى السنة التى ولدت فيها داليا يصف سلالة بكتيريا (كلاميدا تاكوماتيس) بأنها سبب لحدوث العمى فى دول العالم الثالث، ينتقل عبر الأصابع المتسخة والذباب. لا يتعرض الكتاب للبكتيريا كمرض تناسلى، كما كانت تُعرف الأمراض المنتقلة جنسياً فى ذلك

الوقت سوى بأسلوب ثانوى بحلول الوقت الذى أصبحت فيه داليا مراهقة، كان مرض الكلاميديا يفرض مكانته كمرض منتقل جنسياً. الآن هى أكثر بكتريا منتقلة جنسياً شيوعاً، مسئولة عن ثلاثة مليون حالة جديدة سنوياً فى الولايات المتحدة، معظمها بين النساء الشابات.

نعم، ثلاثة مليون حالة جديدة سنوياً. التكلفة السنوية للتعامل مع الكلاميديا وتبعاتها تصل إلى ٢,٤ مليار دولار.

الجرثومة صغيرة ذكية. تتسلل إلى خلية سليمة، وتختفى، تختلس الغذاء، وتتكاثر. تتجنب اكتشافها بأكثر الطرق عبقرية، على سبيل المثال، بتغليف نفسها بجسيمات مسروقة من جلد الشخص، لتخدع الخلية إلى التفكير فى أنها تنتمى إليها. تتفوق الكلاميديا على ذكاء المضيف الذى لا يرى العدو الموجود بالداخل حتى النهاية.

عندما يدرك الجسم أنه عرضة للهجوم، يكون رد فعله الالتهاب. تصل الخلايا البيضاء والرسل الكيماوية من أجل مواجهة الغزو بمحاصرته. يكون هناك تورّم وحرارة، لكنه عادة من الضآلة بحيث لا يتسبب فى ألم أو حمّى. يُدمّر النسيج الطبيعى، ومع الشفاء يترك ندبة. ليست تلك عادة بالمسألة الهامة، ما لم تكن الندبة فى تكوين به قناة دقيقة، كما هو الحال مع قنوات فالوب.

تبدأ الكلاميديا عند النساء فى أسفل الجهاز التناسلى، بعدوى فتحة المهبل. ليست تلك بالحالة الخطرة؛ فهناك كائنات أخرى، وللمهبل نظام تنظيف ذاتى فاعل للغاية. لكن فى بعض الأوقات تسافر الجراثيم بهدوء عبر عنق الرحم، ربما بركوب خلية منوية ذاهبة فى هذا الطريق. تصل إلى الرحم ثم تستقر فى قنوات فالوب، وهى أماكن مُعقّمة فى العادة. يبلغ قطر الأنبوب

حوالى مليمتر. وحيث إنها دقيقة للغاية، لا يستلزم الأمر أكثر من ندبة لإعاقة القناة وربما غلقها تماماً. قد يتسبّب حدوث ندبة فى القنوات فى الحمل خارج الرحم – والذى يمكن أن يتسبب فى الموت – إلى جانب مشكلات فى الخصوبة.

تستعيد قنوات فالوب التى يبلغ طولها أربع بوصات البويضة من المبيض وتحملها نحو الرحم. الأمر جدير بقضاء لحظات فى وصف الطريقة الرائعة التى يحدث بها ذلك.

يبدو الأمر كما لو أنه رقصة معقدة، أو سيمفونية. هناك عازفون، كورال، حركة، إيقاع، بداية ونهاية. بدلاً من راقصات الباليرينا وفريق العزف، توجد فى الدم رُسل وخلايا مُتخصصة. لديهم أسماء جافة وخالية من الحياة Prostaglandin F2a, endosalpinx, columnar epithelium – تناقض سحر غموضهما وحيويتهما الإعجازية.

فى كل شهر تصدر رسالة من المخ إلى قنوات فالوب تقول: استعدى – هناك بويضة فى الطريق. تهبط إلى المبيض، تمسح سطحه، وتجد البويضة التى على وشك الإطلاق. اقبضى عضلاتك واحملى البويضة. دوّرى السيليا، تلك الشعيرات الدقيقة؛ اجتذبى ذلك الشىء الثمين مع التيار. اصنعى العصارة المُغذّية، واجعليها غنيّة – ثم قومى بتغذية البويضة، وراقبيها تنمو. الآن أرخى عضلاتك، عوّمى البويضة عبر التيار، واستعدى من أجل اللحظة الهامة: التلقيح.

من أجل حدوث ذلك دون عرقلة فالأمر يحتاج إلى التوقيت الدقيق والمتناسق، مستويات مضبوطة من الهرمونات، وخلايا حساسة مختارة بعناية. كل ما يحتاجه الأمر لإفساد السيمفونية: رسالة ضعيفة من المخ. فلا

تنضج البويضة. السيليا تعمل بدون اتساق. فتضيع البويضة. تغيّر فى تكوين السوائل. فتجوع البويضة. حينما تكون شديدة الاتساع. القناة تُعجل حركة البويضة بأكثر مما يجب، لكن قد تنحشر فى القناة الضيقة أى أن نسبة الاستروجين تقل عندما تحتاجه أو أكثر عندما لا تكون فى حاجة إليه، فتصبح كل العملية فاشلة. يمكن لليون خطأ أن يحدث فى تلك البوصات الأربع.

هل وصلت عدوى داليا إلى القنوات؟ لا توجد طريقة لمعرفة ذلك الآن، بدون إجراء فحوص داخلية. من المحتمل أنها تلقت العلاج مبكراً، قبل أن تكون لدى البكتريا فرصة للسفر. هذا أفضل سيناريو: أن البكتريا انتهت، وأن قنواتها مفتوحة على مصراعيها.

لكن ما "المنكر"؟ الوقت أمر جوهرى عندما يتعلق الأمر بعلاج الكلاميديا؛ نحن فى سباق للتمكّن منه قبل أن تتقدّم. ما إن تصل إلى القنوات، قد يصبح من المستحيل التخلّص منها. ينبغى أن تخضع بشكل روتينى للفحص من الكلاميديا النساء النشطات جنسياً اللاتى تأتين من أجل الفحص السنوى، وأن يخضعن لعلاج إذا ما ظهر وجود عدوى. لكن ماذا لو أنهنّ أصبن بالعدوى قبل شهور من الفحص؟ كم يستغرق الأمر كى تصل البكتريا للقنوات؟ لا نعرف. فى أنثى قرد الماساكى يستغرق ذلك ثمانية أسابيع.

هناك الكثير الذى لا نعرفه. لا نعرف مثلاً مدى قدرة الفحص على اكتشاف الحالات التى تكون فيها العدوى خاملة. نتيجة التحليل السلبية لا تعنى عدم وجود العدوى. لسنا متأكدين أى مضاد حيوى هو الأفضل، وكم من الوقت ينبغى أن يستمر العلاج. لا نعرف إن كان العلاج يقضى على العدوى بشكل تام. من المحتمل أنه فى بعض الحالات، توقف الأدوية البكتريا

عن التكاثر مؤقتاً، فقط لكى تعود لنشاطها لاحقاً. ولا نفهم لماذا تزيد فرصة إصابة النساء اللاتى لديهن كلاميديا بسرطان عنق الرحم.

نعرف أن معظم النساء اللاتى أصبن بالعدوى اكتشفنها بطريقة صادمة – عندما وجدن أنه ليس بمقدورهن الحمل. وحيث إن الكلاميديا لم تتسبب عند حوالى ٨٠٪ من النساء المصابات فى ألم، أو حمّى، أو إفرازات، تعتقد المرأة أنها بخير. فهى مثل خلاياها المصابة، مضيفة غير مُدركة لضيف خطير. بعد سنوات، عندما تستقر، وتتزوج، وتترك الحفلات والعلاقات العابرة وراءها، يتم إخبارها بأن دماءها بها أجسام مضادة للكلاميديا – كدليل على الإصابة القديمة. يُدخل الطبيب مجهرا من خلال سرتها ليفحص قنوات فالوب ويكتشف أنها متضخمة ومصابة بالالتصاقات. ويكون هذا هو السبب فى عدم قدرتها على الحمل.

يقول الخبراء إن داليا قد تسمع هذا فى يوم ما، لأن لديها بعضاً من عوامل الخطر التى قد تؤدى إلى عدوى الكلاميديا: اتصال جنسى فى سن مبكر، كثير من الشركاء، وربما استخدام موانع حمل فموية(١). الاتصال الجنسى فى سن مبكرة كان خطرا لأنه – كما فسرنا من قبل – يوجد فى عنق الرحم غير الناضج مساحة متحوّلة أكبر، ويحوى خلايا أكثر عرضة للعدوى. تشكل تلك الخلايا الهشة دائرة حمراء فاتحة فى وسط عنق الرحم. أتاح عنق رحم داليا غير الناضج مساحة أكبر لتلقّى العدوى مقارنةً بما لو أنها انتظرت حتى تكون فى سن أكبر. ومع كل رجل جديد فى حياتها، زادت داليا من احتمالية تعرضها للعدوى لأن الرجال لا يخضعون للفحص ما لم تكن لديهم أعراض. وكنتيجة لذلك، فهناك عدد كبير من الرجال

(١) أقراص عبر الفم.

المصابين الذين ينقلون العدوى دون أن يعرفوا، خاصة فى الأوساط الجامعية. إذا كانت داليا مثل غالبية طلبة الجامعة، فالمحتمل أنها لم تواظب على استخدام الكوندوم. وفى النهاية هناك حبوب منع الحمل. هناك شك، لم يتم إثباته بعد، أن موانع الحمل الفموية قد تسهّل العدوى بتكبير المساحة المُتحوّلة، أو تقليل كمية دم الطمث، والتى قد تعمل كوسيلة لطرد البكتريا لأسفل نحو الخارج.

لكن فلنفكر بشكل إيجابى. لنفترض أن علاج داليا كان فاعلاً، وأن المضادات الحيوية قضت تماماً على الكلاميديا، وأن علاقاتها الغرامية التالية لم تُعدِ تعريضها للعدوى. قنواتها سليمة، وجميع الأنابيب تعمل كما ينبغى. هى إذن خارج دائرة الخطر. هل هذا صحيح؟

هناك شىء آخر ينبغى وضعه فى الاعتبار – ذكرى داليا عن الإصابة. لا نقصد هناك ذاكرتها الإدراكية، إعادة تذكر التفاصيل مثل اسم الشاب وما كان عليه الأمر عندما اكتشفت الإصابة. كان ذلك قبل عشر سنوات، فى سنتها التمهيدية بالجامعة. كانت لبعض الوقت فتاة جامحة، وأخذت نصيبها من شرب الكحول وحضور الحفلات. هى بالكاد تتذكر التفاصيل – ولم عليها أن تفعل؟

لا نتحدّث هنا عن أسماء، أو أماكن، متى أو كيف. بل إن داليا تحمل فى داخلها نوعا مختلفاً من الذكريات – ذاكرة مناعية. وبالرغم من أنها قد تكون قد نسيت مشكلة الكلاميديا، فلا شك أن خلاياها البيضاء لم تنس.

يعمل الأمر على الصورة التالية. بينما كانت الكلاميديا تختبئ فى خلايا داليا، صنعت نوعاً من البروتين اسمه إتش إس پى hsp. لهذا الجزىء عديد من الوظائف المختلفة. ويأتى فى تشكيلة متنوعة. عندما ماتت الخلايا تم

إطلاق الإتش إس بى. تعرّفت خلاياها البيضاء – أثناء تربّصها بأى مواد غريبة – على الإتش إس بى كمادة غريبة، وصنعت لها الأجسام المضادة. أثناء ذلك احتفظت الخلايا البيضاء فى ذاكرتها بتصميم الإتش إس بى.

فلنمض بالمشهد سريعاً إلى ما بعد ذلك بدستة من السنوات إلى الأمام. تم تلقيح البويضة وزُرع الجنين فى رحم داليا. اختبار حمل إيجابى! تملؤها السعادة. لكن واحداً من أوائل البروتينات التى يصنعها الجنين هى الإتش إس بى. ليس هذا بالأمر الجيد. الخلايا البيضاء ترى الإتش إس بى الجديد ولا تستطيع تمييز الفرق– بل تظن أن عدوى الكلاميديا تنشط. ترسل إشارة لطلب المساعدة. سريعاً ما تصل الخلايا القتالية المتخصصة وهى مُستعدة للتدمير. تعتقد جميعها أنها فى حرب مع غاز شرس، لكنه ليس كذلك. فى الحقيقة أنه ليس سوى جنين داليا.

يتسبّب هذا الميكانيزم المناعى الأوتوماتيكى فى فقدان مبكّر للحمل وانخفاض فى فرصة نجاح التخصيب عن طريق أطفال الأنابيب، حتى بعد مرور سنوات ممّا يبدو وأنه كان علاجا ناجحا بالمضادات الحيوية. تم نشر هذا لأول مرة فى الأدبيات الطبية سنة ١٩٩٤، كانت داليا حينها فى الصف الأول الثانوى وتبلغ حوالى خمسة عشر عاما. بدخولها الجامعة، هل كانت الفتيات الشابات قد تلقين التحذير؟ هل كانت داليا تعرف؟

لا، لكل من السؤالين. بل والمثير للدهشة أن طالبات الجامعة اليوم – ما لم يكن مشتركات فى إصدارات الأمراض المعدية فى التوليد والنساء – لا يمكن أن تكون لديهن المعرفة.

هذا مثير للفزع. تكتب المجلات الطبية عن اكتشاف دى إن إيه DNA الكلاميديا فى قنوات فالوب حتى بعد العلاج وتصف كيف أن إتش إس بى

الكلاميديا يتسبب فى إجهاض الجنين لسنوات بعد الإصابة الصامتة. وتقرر أن المضادات الحيوية قد تكون أكثر نجاحا إذا ما طال مدة تعاطيها إلى أسبوع بدلاً من يوم واحد كما يتم التوصية. لكن داليا لا تقرأ تلك المجلات. تحصل على معلوماتها عن الأمراض المنتقلة جنسياً من مصادر أخرى، وتلك المصادر تصوّر الكلاميديا كعدوى من السهل اكتشافها وعلاجها. على سبيل المثال، فلنتأمل موقع المعلومات الصحية لجامعة كولمبيا؛ "اسأل أليس". هنا سوف تتعلم داليا أنه إذا اكتشفت إصابتها بالعدوى فإنها سوف تتلقّى كورسا بسيطا وفاعلاً من المضادات الحيوية. فى غضون شهور قليلة سوف تعود لإجراء تحليل، لكن فى الوقت الراهن يمكنها أن تكون مطمئنة تماماً – فقط الإصابات التى لا يتم علاجها هى التى تسبب العقم.

لنتفحص الأمر عن كثب. نتأمل أولاً، عملية الاكتشاف. السؤال عن الذى يخضع للكشف، وكم مرة، هو سؤال مفتوح. توصية فحص النساء سنوياً توصية استبدادية مبنية جزئياً على التكلفة المالية. الفحص مكلّف، والمنطق الجدلى يقوم على أساس أن الحالات الإضافية التى يمكن للفحص الدورى اكتشافها لا تبرّر التكاليف. يقترح بعض الخبراء معدلاً أكبر من مرات الخضوع للفحص للمجموعات الأكثر عرضة مثل النساء تحت عمر الخامسة والعشرين، بحيث قد يكون الفحص مرة كل ستة أشهر. البعض الآخر يرى أن علاج الرجال المصابين بالعدوى الصامتة سوف يقلل من انتشار المرض بين النساء، لكن لا أحد يفحص الرجال الذين لا أعراض لديهم. ثم هناك التحليل نفسه. الفحص الروتينى هذه الأيام يتكون من تحليل البول، لكن مع بعض المخاطرة فى ظهور نتائج سلبية زائفة. المرأة المصابة التى سوف تظهر نتيجة فحصها سلبية سوف تؤمن بأنها على ما يرام، وهو افتراض

يمكن أن يكون خطيراً عليها وعلى الآخرين. بعد ذلك، هناك مسألة "الشفاء" بالمضادات الحيوية. المضادات الحيوية تشفي الكلاميديا – أحياناً. عندما لا يحدث ذلك، يمكن للعدوى أن تستمر لسنوات، تتجنب الاكتشاف وتدمر القنوات. في النهاية، وبعد سنوات من الإصابة، وبصرف النظر عن العلاج، يمكن أن يحدث رد فعل مناعي أوتوماتيكي، أحياناً ما يتسبّب في قتل الجنين.

علاج "بسيط وفاعل" للكلاميديا؟

ليس دائماً. وليس لكل حالة.

مراكز الصحة والاستشارات الطلابية هي من المواقع المتميزة التي تنشر تلك الحقائق بين الطلاب، وهم يعلمون ذلك. يصف محرر دورية الصحة الجامعية الأمريكية الأمر كما يلي: "ربما أن ما يميّز خدمات الصحة الجامعية عن خدمات الرعاية الصحية العامّة أكثر من أي شيء آخر هو الإمكانات التي لديها... لدى الصحة الجامعية فرصة لكي تحقّق التزاوج بين مرحلة تطوّر محورية وبين موارد مُوجّهة بعناية لإنتاج احتمالية أكبر في أن يتمتع الطلاب بحياة صحية جيدة".

يتم اغتنام الفرصة بجدية، بحيث جعلت مراكز الصحة مسئوليتها تثقيف الطلاب حول جميع أنواع القضايا الصحية. لنأخذ مثالا واضحا، تقدم تلك المراكز مطبوعات عن التغذية، توضح فيها الكربوهيدرات، البروتينات، والدهون المشبعة وغير المشبعة. يتعلم الطلاب أن الكولسترول يتسبب في تسوّس الأسنان، وانسداد الشرايين، وأزمات القلب. يعرفون أن نظارات الشمس هامة للحماية من الميلانوما. وهل هناك أي شخص في الحرم الجامعي ليس على دراية بأدق تفاصيل التمارين الرياضية: الأيروبيكس،

الأنارويبك، الكارديو، كم مرة ولأية فترة؟ الرسالة عالية الصوت وواضحة التفاصيل: تعلّم كل ماهنالك عن الصحة الجيدة، واعتن بنفسك. هناك تبعات لنمط حياتك، لذلك عليك أن تعمل على تغييره. تناول الفاكهة بدلاً من البيتزا، استخدم السلم بدلاً من المصعد. بالطبع الأمر ليس مسلياً، بل يستلزم الانضباط والتحكم فى النفس، ولكن هذا ما ينبغى فعله لكى نظل أصحاء. فى وقت لاحق سوف تكون سعيدا وأنت تجنى ثمار هذا الجهد!

كمثال آخر، ها هى رؤية دورية الصحة الجامعية الأمريكية لمرض هشاشة العظام:

"يستحق طلاب الجامعة من كل الأعمار أن يتم توعيتهم بالعوامل التى تؤدى إلى هشاشة العظام: النساء الشابات بالأخص بحاجة إلى أن يتم تعليمهنّ أن التغذية السليمة والتمرين المنتظم يمكن أن يساعدا على تحقيق كثافة عظمية مثالية. هنّ فى حاجة إلى أن تكن واعيات بأن الغذاء منخفض الكالسيوم وفيتامين دى، وأن التدخين والمبالغة فى احتساء الكحول، واستخدام الاستيرويد، والأطعمة الغنية بالبروتين، وعدم النشاط البدنى والتمرين المفرط على السواء، قد يكون لها تأثير سلبى على صحة التكوين العظمى على المدى الطويل. وقد تعرضهنّ تلك العوامل بشكل أكبر لخطر هشاشة العظام فى السنوات المتأخرة من حياتهنّ".

سؤال: إذا كانت هناك حاجة لتثقيف فتاة فى العشرينات عن وسائل تقيها من مضاعفات ما بعد سن انقطاع الطمث، ألا توجد حاجة مساوية – إن لم تكن أكثر أهمية – للتأكد من وعيها عن الخصوبة؟

ونظراً لأن كثيراً من نساء الجامعة يؤجلن الحمل لفترة أطول مما سبق للمرأة فى التاريخ، وأن أخريات تعرضن أنفسهن للبكتريا التناسلية

والڤيروسات، فبإمكاننا أن نتساءل لماذا لا نجد تحذيرا ذا علاقة فى أدبيات الصحة الجامعية:

يستحق طلبة الجامعة من كل الأعمار أن يتم توعيتهم/ هن بعوامل الخطر التى تؤدى إلى العقم. النساء الشابات بالأخص فى حاجة لمعرفة الوقت المثالى فى حياتهن التناسلية لحمل وولادة طفل سليم. هناك دائماً استثناءات، لكنهن فى حاجة للوعى بأن الانتظار لما بعد الخامسة والثلاثين هو فى الغالب تماماً مثل التدخين والسمنة، وأن وجود أكثر من شريك جنسى واحد فى الحياة، قد يؤدى إلى تأثير سلبى على قدرتهن على الحمل وقد يعرّضهن بشكل متزايد إلى خطر العقم، والإجهاض الفجائى، والحياة دون أطفال فى عمر متقدم.

أسئلة إلى إخصائيى الصحة الطلابية: أين هى المطبوعة التى تتناول كيفية الحفاظ على الجهاز التناسلى سليما مُعافى؟ أين يتم تذكير النساء بأن لديهن نظاماً بيئياً حسّاساً، حيث تحدث كل شهر عملية إنتاج معقّدة ودقيقة؟ ماذا عن تقديم مصطلحات "منطقة عنق الرحم الناقلة"، و"إتش إس پى الكلاميديا" إلى نساء الجامعة، حتى يستطعن استيعاب فسيولوجيتهنّ وحتى يستطعن أن يرين بوضوح أن تعدد الشركاء خطير للغاية؟ ربما قد يكون فى مجال ترويج السلامة البدنية مكان لإبداء بعض الاحترام – وحتى الانبهار – بكيفية استعداد جسد المرأة للحمل. وربما كان هناك مكان لهذا التحذير: لا تعتبرى الأمر مضمونا، مُعتمدة على وصفة دوائية سوف تعيد جهازك التناسلى مرة أخرى وكأنه جديد لأن ذلك يجعل الأمور أكثر سوءا.

هناك شىء آخر يمكن لمراكز الصحة الجامعية أن تفعله. يمكنها أن تطلب من جميع الطلاب/ الطالبات الجدد النشطاء جنسياً – أن يخضعوا لتحليل

الكلاميديا، كما يخضع الطلاب الوافدون لفحص مرض السل. فمثلما يستحق الطلاب الأصحاء الحماية من السعال، ومن زملاء الدراسة المصابين بالسل، تستحق النساء الشابات في الجامعة الحماية من ذلك الشاب الوسيم، كثير العلاقات، الذى تودّ كل فتاة أن تقضى معه إجازة نهاية الأسبوع. فى الحقيقة فقد يشاركهنّ فى أكثر من مجرد ابتسامته.

فى السبعينات، كان يتم إخبار المرأة التى تلَفت قنواتها فلم تعد تستطيع الحمل بأنها ربما تعرضت لڤيرس دمّر جهازها فى الطفولة. كان الطبيب يريد أن يخبر مريضته – المصدومة، البائسة، واليائسة لفهم ما تسبّب فى حالتها – شيئاً ما، وكان وجود سبب يساعدها على استعادة الهدوء.

نحن الآن أكثر حكمة. نعرف أنه بالنسبة للكثير من النساء، فإنّ سبب بؤسهنّ هو تلك الجرثومة الصغيرة الكريهة. الآن نعرف كيف تبدو، وكيف تغزو الجسم، وأين تختبئ. لكن هناك فجوة بين ما اكتشفناه عن الكلاميديا فى المعمل وبين ما نعلنه للمجتمع. ما نعرفه – وقد مر على معرفتنا به عقد من الزمن ـــ صريح ومباشر، لكن ما نخبر به الشباب مُغطّى بطبقة من السكر. ما نخبرهم به تعرّض لمزيج من التبسيط المبالغ فيه وعدم الاكتمال حتى أصبح يقترب من التضليل.

كيف حدث ذلك وكيف يستمر فى الحدوث، لا أعرف. لكن أن تكون تلك هى الحالة أمر مزعج بشدة وعندما تكون ثلاثة ملايين امرأة شابة معرضة للإصابة هذا العام فقط. عندما أفكر فى عدم وصول تلك المعلومات لمن يحتاجونها، أستشيط غضباً. كيف يجرؤ أى إنسان على أن يقرر حجب المعلومات وعدم تقديمها كاملة؟ من الذى يكتب المواد الصحيّة المُوجّهة للمرضى على أى حال، ومن يعطيه الحق فى تقديم نصف الحقيقة

وتبييضها، وتغطيتها بالسكر، وتبسيطها بشكل مبالغ فيه وتوطين الطمأنينة بينما لا زالت هناك مدعاة للقلق؟

كم من هؤلاء النساء سوف تأتيهن الكلاميديا بكابوس العقم أو التعرّض لسقوط الحمل؟ ومع وجود كل هؤلاء في مواجهة الخطر، كيف نفشل في الوصول لكل امرأة شابة لكي نهمس بحقيقة الأمر في أذنها: حتى ولو كنت "على ما يرام"، حتى ولو أنك تخضعين للفحص وتأخذين المضادات الحيوية، فهذه البكتريا قادرة على إيذائك. أحياناً لا يوجد شفاء. إذا كنت ترغبين في أن تصبحي أماً في يوم من الأيام، فإن هذه الجرثومة قد تقضي على حلمك.

لنساء مثل داليا، فإن تكوين أسرة هو حلم من بين أحلامها الكثيرة. عندما يتعلق الأمر بأحلامهن فيما يخص درجات التخرّج في المدرسة، السفر للخارج، الحصول على وظيفة، تحقيق الاستقرار المادي، فلدينا الكثير من الإرشاد. وكله دقيق وحديث إلى اللحظة: كيف تستعدين لامتحان SAT، تلتحقين بالجامعة المناسبة، تجدين تدريبا صيفيا، تحققين نتيجة مناسبة في امتحان GRE، تستكملين بحثاً، تكتبين سيرة ذاتية، تستعدين لمقابلة عمل. لكن عندما يتعلق الأمر بخصوبتهن، فإن ما يعرفنه ليس دقيقاً في الغالب بما فيه الكفاية. عندما يتعلق الأمر بهذا الحلم بذاته، فقد لا تكون فتياتنا على درجة الوعي المفترضة. هل هذا مثال آخر لنفس الأجندة: جنس بلا تبعات، المهنة قبل الأمومة، النساء تماماً مثل الرجال؟ أستشيط غضباً لدى إدراكي أنه بسبب المعلومات المضللة، وتبييض الحقيقة، واختفاء التحذيرات، قد تعمى النساء الشابات عن المخاطر التي يضعن أنفسهنّ في مواجهتها. كم منهنّ لن تعرف أبداً ما يكفي عن الحمل والأمومة، تلك التجارب الجوهرية لكل امرأة؟

لكن الوقت قد فات ولا يمكننى أن أتدخل؛ فقد وقع الأذى بالفعل. داليا فى طريقها إلى دالاس، لتبنى مستقبلها، متوقعة أن تجد كل ما تصبو إليه: المهنة، الزوج، الأطفال. لقد عملت بجد، وتستحق النجاح. أرجو أن يبتسم القدر فى وجهها ويمنحها أطفالاً أصحاء ولطفاء بقدر ما تتمنى. إن لم يحدث ذلك، فمثل كثيرات غيرها، فسوف تدفع فى صمت ثمنا باهظاً للغاية.

obeikandl.com